

المحور الثاني

الاتجاهات النظرية في علم اجتماع السكان

النظرية السكانية هي مجموعة من القضايا المترابطة فيما بينها تقوم على الملاحظة والتجريب وتقدم تفسير للظاهرة السكانية ما أو التنبؤ بعلاقات يمكن ملاحظتها أو التحقق منها، حيث تفسر أثر العوامل الاجتماعية في السكان، من خلال الانعكاسات على مسار النمو السكاني والانجاب مثلا، وخاصة وان من خصائص السكان انه يتميز بحركته وديناميكيته الدائمة الذي قيد ينتج عنها تزايد أو تناقص في العدد فلا يوجد مجتمع سكاني ساكن¹.

جاءت النظريات السكانية الاجتماعية لتعالج الظواهر السكانية من منظورها العلمي واعتمدت على المنهج التحليلي الذي يعتمد على التأويلات والتفسيرات التي تحاول إيجاد تفسير علمي منطقي للظواهر السكانية.

المحاضرة رقم 01: (1) الفكر السكاني في الحضارات القديمة:

إن الاهتمام بدراسة الظواهر السكانية في الفكر السكاني اهتمام قديم إذ يلاحظ المتتبع لهذا التاريخ والذي يوفر له فرصة تحليل تراثه أن دراسة السكان قد جذبت انتباه الكتاب والمفكرين منذ أقدم العصور².

كانت الكتابات القديمة تضم بين ثناياها الكثير من الافكار التي تعالج العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية والحجم الأقل للسكان وغيرها من الافكار التي تستعرض تراث الفكر الإنساني الذي بدأ من

¹ زهراء صالح عبد المهدي، (2017)، النظريات السكانية الاجتماعية " دراسة تحليلية في جغرافية السكان"، بحث مقدم لنيل شهادة البكالوريوس في اداب الجغرافية، قسم الجغرافية، كلية الاداب، جامعة القادسية، مصر ص9.

² محمد السيد غلاب، محمد صبحي عبد الحكيم، (1962)، السكان والديموغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ص8.

العصور القديمة والوسطى، فالاهتمام بالظواهر السكانية كان منظماً في كتابات الفلاسفة الاجتماعيين والسياسيين الذين اهتموا بالأصل تأثير السكان في الانساق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية³.

سنحاول التعرف على بعض الاهتمامات بالمسألة السكانية في الحضارات القديمة وهي على النحو التالي⁴:

1.1 حضارة العراق القديم:

تشير المصادر التاريخية إلى أن المنطقة التي يطلق عليها اليوم جنوب غربي آسيا كانت مركزاً للشؤون البشرية الأكثر من ثلاثة آلاف عام، وتمثل نصف الزمن الذي انقضى منذ بداية التاريخ المكتوب وإلى يومنا هذا، وعلى هذا ظهرت الكثير من الثقافات المتباينة كنشأة الزراعة، التجارة، الرياضة، الطب، الهندسة، والفلك وكذلك عرفت الحروف الهجائية والكتابة والتدوين وكذلك ضريبة الدخل⁵.

أ. السومريون:

نشأت السومرية في جنوب العراق منذ أكثر من شبعة آلاف سنة، وعرفت باسم بلاد سومر وأهم ما تميزت به تشريع العديد من القوانين التي تنظم حياة الإنسان العراقي القديم وعلاقته بالدولة وضمان حقوقه وحرياته وكذلك اختراع الكتابة ولا سيما الكتابة المسمارية⁶.

لقد شمل القانون السومري العلاقات التجارية، كما شمل العلاقات الزوجية والجنسية بوجه عام ونظم شؤون الفروض والعقود والبيع، وقد أجاز هذا القانون تعدد الزواج للرجل الحق أن يتخذ له زوجة ثانية عند انحراف زوجته أخلاقياً، من الأخلاقيات السومرية أن ينظر للمرأة أن تلد للزوجها والدولة الكثير من

³ يونس حمادي علي، (2010)، مبادئ علم الديموغرافيا ' دراسة السكان"، ط1، عمان الأردن، ص13.

⁴ علي عبد الرزاق الجبلي، (1984)، علم اجتماع السكان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 66.

⁵ عبد العلي خفاف، (2007)، جغرافية السكان "أسس عامة"، ط2، ص31.

⁶ إياذ عاشور، فلاح الحسن الأسدي، (2004)، الاجتماعيات، ط5، ص43.

الأبناء، فإذا كانت عاقراً جاز طلاقها لهذا السبب وحده، أما إذا كرهت أن تقوم بواجبات الامومة فكانت تقتل غرقاً وكان للآباء إذا ثيروا منهم علناً أن يحملوا ولادة الامور على نفيهم من المدينة⁷.

أ. البابليون:

نشأت الحضارة البابلية في وسط العراق، في محافظة بابل الحالية، ويعد حمورابي أشهر ملوكها إذ عرف بتشريع له عدد من القوانين ونقشت على مسلة حمو رابي الشهيرة⁸.

وقد نظم حوالي 285 قانوناً رتب ترتيباً يكاد يكون هو الترتيب العلمي الحديث فقسمت إلى الاملاك المنقولة والاملاك العقارية المتعلقة بالتجارة والصناعة والاسرة والعمل، ويعدد من الاخلاقيات ذات نتائج على السياق الديموغرافي، ويذكر ان الزواج البابلي يقتصر على زوجة واحدة عادة.

ويشير القانون عن الزوجة: "إذا لم تكن السيدة حريصة على أداء واجبها، مهملة لشؤون بيتها مستخفة بأطفالها وجب ان تلقى في الماء....."⁹.

ب. الآشوريون:

نشأت الحضارة الآشورية في بلاد آشور شمال العراق بالقرب من ضفاف نهر الدجلة، وأشهر مدنها هي مدينة آشور ونيوى وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الاله آشور، بحيث تميزت بالعديد من القوانين على كل الأراضي والمناطق المجاورة له، وإقامة دولة مركزية قوية¹⁰.

يتوزع المجتمع الآشوري في 5 طبقات: الاعيان والرجال الصناعة المنتظمون في نقابات وأرباب المهن والحرف والعمال المهرة وهم الأحرار من صنع المدن وزراع الريف والمرتبطين بأرض المزارع الكبرى، وأسرى الحروب أو سجناء الديون.

⁷ عبد الله على الخفي، المرجع السابق، ص23.

⁸ غازي مطلق صخي، هديل عبد الوهاب عبد الرزاق، (2013)، الاجتماعيات، ط4، ص44.

⁹ مصدر سابق، ص22.

¹⁰ اياد عاشور الطائي، مصدر سابق، ص46.

وكان المجتمع يشجع على النسل بقوانينه الاخلاقية وما يسنه من الشرائع شأنه في ذلك شأن جل المجتمعات العسكرية فكان الإجهاض عندهم جريمة يعاقب عليها بالإعدام وكانت المرأة التي تجهض نفسها تحرق بعد موتها¹¹.

إن الحضارة العراقية انتشرت في مواقع جغرافية عديدة في جنوبه ووسطه وشماله قد استندت على تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الناس وظهرت الكثير من القوانين والتشريعات الخاصة بالزواج، والطلاق والاسرة وتعدد الزوجات وتربية الابناء والإجهاض والعمل... وغيرها¹².

وكان الهدف الرئيسي من الزواج عند العراقيين في زمن السومريين والبابليين والأشوريين هو الحصول على الاولاد وتشجيع النسل¹³.

2.1 حضارة مصر القديمة:

تمتد الحضارة المصرية القديمة إلى بضعة آلاف من السنين ما قبل التاريخ الميلادي وقد شهدت تطورا كبيرا في مجالات الحياة العلمية والفكرية، واستندت إلى تنظيمات سياسية وإدارية وتشريعات اجتماعية واقتصادية وارتفعت بها الفلسفة والعلوم والآداب والفنون والزراعة والصناعة.

بالنسبة للواقع الديموغرافي تذكر المصادر أن طبقات المسؤولين والأرستقراطيين والأثرياء يميلون إلى تعدد الزوجات، أما بالنسبة لعامة الشعب فيكون بزوجة واحدة، والحياة الزوجية ذات مستوى رفيع وكان الطلاق نادرا ما يحدث إلا في عهد الاضمحلال وكان مقدور الزوج ان يطلق زوجته ويخرجها من داره دون أن يعوضها إذا انحرفت أما لسبب آخر فإنه يخصص لها كل مستحقاتها ولها جزء من أملاك الأسرة، ولعل سيطرة الأم على شؤونها الخاصة هي التي جعلت قتل الأطفال في مصر صعب¹⁴.

¹¹ زهراء صالح عبد المهدي، مرجع سابق، 13.

¹² عبد على الجفاف، المرجع السابق، ص22.

¹³ يونس حمادي علي، (2010)، مبادئ علم الديموغرافيا "دراسة السكان"، ط1، عمان، الأردن، ص16.

¹⁴ زهراء صالح عبد المهدي، مرجع سابق، 14.

ما شاع بين المصريين القدامى هو الزواج المبكر الذي نتج عنه أسر كبيرة ورغبة في الإنجاب وتعدد الزوجات لمن يستطيع ذلك، وقد سادت عندهم أفكار التفاضل أكثر من غيرها بين عامة الناس والفلاسفة¹⁵.

3.1 الحضارة الصينية:

إن تعاليم كنفوشيوس رجل الحكمة الصيني هي التي تغلبت على غيرها من تعاليم وشرائع وما ورد في هذه التعاليم مما له علاقة بالوضع الديموغرافي فقد أعار وغيره من الكتاب الصينيين اهتمامهم لفكرة التناسب بين مساحة الأرض وعدد السكان، واعتقد كونفوشيوس أن من مسؤولية الحكومة أن تنقل السكان من المناطق المزدحمة إلى الأقل سكاناً، وأوضح أيضاً العوامل العديدة التي تؤثر في نمو السكان، وحصرها في عوامل نقص الغذاء والحرب، والزواج المبكر، والتكاليف المبالغ فيها عند الزواج¹⁶.

4.1 الحضارة اليونانية:

يؤشر التراث اليوناني الواسع والكبير إلى اهتمامات متعددة بالكثير من الجوانب الحياة وعلاقتها الاقتصادية والاجتماعية ذات تأثيرات ونتائج ديموغرافية، من ابرز الأفكار اليونانية المتعلقة بالسكان هي مسألة الحجم الامثل لعدد السكان، حيث كان اعتقاد أفلاطون أن الحجم الامثل للمدينة الإغريقية حينذاك 5040 نسمة هو العدد الذي يكفي لحالات الحرب والسلام والاحتياجات الاقتصادية المختلفة كذلك الإدارة العامة وهو قابل للقسم على 12قسما عدد النفوس منها 420 مواطنا.

¹⁵ عيد على الجفاف، مرجع سابق، ص24، 25.

¹⁶ علي عبد الرزاق جبلي، مرجع سابق ، ص 46.

وكان افلاطون يرى أن الزيادة السكانية إن لم توقف بقوانين وضعية تجر وتقضي على كل النظام أساس المساواة في الملكية¹⁷.

وكان يعتقد بأنه يجب على الحكومة التدخل في حالة زيادة عدد السكان بأن تضغط على الشعب عن طريق تحديد الزواج والنسل ومنع الهجرة وكذلك في حالة نقص العدد أن تشجعهم على النسل بالأموال واعطاء الجنسية اليونانية¹⁸.

أرسطو اتجه في معالجته لمسألة السكان اتجاها أكثر واقعية من أفلاطون وتناول العديد من المسائل السكانية مثل توزيع السكاني، نمو السكان، والحد الامثل للسكان، وياشر بتوزيع السكان على وحدات المجتمع وقسمها بين الأسرة ثم القرية ثم المدينة، ثم عالج توزيع السكان على المهن وقسمها إلى من يقومون بالمهن الطبيعية (الزراعة، الصيد وتربية الحيوان)، وإلى مهن غير طبيعية كالصناعة والتجارة، تناول التوزيع العمري للسكان، أجري تفرقة بين الرجل والمرأة علي أساس الاستعدادات الجسمية والعقلية، يحذر من النمو غير المتناسب بين طبقات المدينة؟؟، تترتب عليه ثورات.

شبه المدينة بالجسم الانساني من ناحية النمو والتماثل، اعتقد بضرورة وجود حجم ثابت تتحكم فيه الحكومة¹⁹.

5.1 الحضارة الرومانية:

إن الحضارة الرومانية اهتمت بالجوانب التطبيقية للمسألة السكانية بشكل أساسي، أما اهتمامهم النظري فقد كان ضيقا إلا أنه كان أساسا لما تبعه من سعة التفصيلات.

¹⁷ عبد علي الخفاف عبد المخمور الرياحني، (1986)، جغرافية السكان، طبع على نفقة جامعة البصرة، ص16.

¹⁸ علي عبد الرزاق الجبلي، مرجع سابق، ص9.

¹⁹ المرجع السابق

فقد وردت تشريعات الرومانية انداك منها قوانين أغسطس التي اعطت امتيازات للمتزوجين وإنجاب الاطفال وخصت تلك الامتيازات عن العادات ذلك من أجل تشجيع الزواج وزيادة معدلات الولادة²⁰.

المحاضرة رقم 02 : (2) المتغيرات السكانية عند ابن خلدون²¹:

استأثر ابن خلدون باهتمام كثير من الدارسين والباحثين باعتباره أغنى المكتبة العربية والغربية بأفكاره العلمية في كثير من مجالات العلوم الإنسانية إن الفكر الجغرافي في "مقدمة" ابن خلدون ثري بالمعلومات الجغرافية، عامة وبالمعلومات المتعلقة بجغرافية السكان خاصة شامل لمعظم موضوعاتها بشكل يصعب حصره والوقوف عليه واستقصاؤه في مثل هذا البحث الذي قد لا يُظهر سوى جزء من كل في الفكر السكاني والجغرافي الذي يمتلكه.

لقد تناول ابن خلدون قضية السكان في مؤلفه "مقدمة ابن خلدون" حيث تحدث عن مازيا النمو السكاني . فقد أرى ابن خلدون أن النمو السكاني يخلق الحاجة الى تخصص الوظائف الذي بدوره يؤدي الى دخول أعلى.

كما يرى ابن خلدون أن النمو السكاني يتركز أساسا في المدن، ولذلك يشير ابن خلدون أن سكان المدن ذات الحجم الكبير أكثر رفاهية من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل، والسبب الجوهرى وراء ذلك هو الاختلاف في طبيعة الوظائف التي تؤدي المناطق المختلفة. ولكل مدينة هناك سوق لأنواع المختلفة من العمال وكل سوق يستوعب من الانفاق الكلي ما يتناسب مع حجمه. و يذهب "ابن خلدون" إلى أن المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة، إذ يشهد

²⁰ عبد علي الخفاف، مرجع سابق، ص 30.

²¹ عماد مطير الشمري ونعم أكرم، الأفكار السكانية في كتابات ابن خلدون، الجامعة المستنصرية، العراق، ص 9.

المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم ,وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره يشهد ظروفًا ديموغرافية مخالفة تماماً ,حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات ,وذلك باعتقاده في أن الخصوبة العالية في المرحلة الأولى من تطور المجتمع ترجع إلى نشاط السكان وثقتهم ومقدرتهم ,أمّا في المرحلة الأخيرة من تطور المجتمع فتظهر المجاعات والأوبئة والثورات والاضطرابات.

ويعتبر العلامة ابن خلدون(1332-1406هـ) من أوائل الذين تطرقوا للعلاقة بين السكان والتنمية بشيء من الدقة والتعمق، فقد ذكر في مقدمته المشهورة (أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها، والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف، كثر التناسل والولد.

(3) روبرت مالتس:

لقد ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن التاسع عدد متزايد من المحاولات العلمية الجادة في دراسة السكان وكان أهم تلك المحاولات هو ظهور مؤلف روبرت مالتس "مقال في السكان "ويعد مالتس أبا لعلم السكان ، إذ أنه أرسى دعائم الدراسة العلمية للسكان وجعل منها كيانا مستقلا يعتمد علي المناهج العلمية ويدخل في دائرة العلوم الاجتماعية وعلي الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى مالتس فإن دراسته تعد ثورة في موضوع السكان ومن أهم العوامل المؤثرة التي أدت إلى زيادة الاهتمام بدراسة الظواهر السكانية ومازالت تجذب الانتباه حتى الوقت الحاضر ويرجع ذلك ليس فقط لكونها محاولة جادة لدراسة السكان دراسة علمية ولكن لما تنطوي عليه من مسحة تشاؤمية استرعت انتباه العلماء والباحثين وجعلتهم يحللونها وما يفندون ما تنطوي عليه من آراء واتجاهات نظرية في ضوء نتائج الدراسات العلمية السكانية ومحاولة الوصول إلى آراء أكثر تفاؤلا²².

²² علي عبد الرزاق الجبلي، (1993)، علم اجتماع السكان ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ص 56،57.

استندت نظرية مالتس علي المعلومات والبيانات التي كانت متوفرة في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية في القرن الثامن عشر حول عدد السكان ومعدل الإنتاج من الأرض واستخلص النتائج العامة التالية²³.

- إن قدرة الإنسان علي التناسل وفعاليتها تعمل علي زيادة عدد السكان.

- إن عدد السكان يتزايد وفقا لمتوالية هندسية Geometrical progression أي انه يتضاعف في كل جيل أو كل 25 عاما إذا لم يعوقهم عائقا قويا ويتمثل ذلك في الموانع الإيجابية والموانع الوقائية ويقصد بالموانع الإيجابية تلك العوامل التي تقضي علي الحياة مثل الصناعات غير الصحية والوباء والحروب أما الموانع الوقائية فهي تشمل العوامل التي تؤدي إلى خفض معدل المواليد مثل تأجيل الزواج وكبح النفس أثناء الزواج.

واعتقد مالتس أن هذين المانعين هما الأسباب الحقيقية في الزيادة البطيئة في السكان في جميع دول أوروبا الحديثة وان زيادة سريعة نسبيا حدثت دائما حينما اختفت هذه الأسباب بدرجة ملموسة ، ولولا وجود مثل هذه الموانع لتعرضت البشرية لكارثة

- إن قدرة الأرض علي إنتاج ما يتطلبه البقاء الإنساني من غذاء قدرة محدودة وتخضع لقانون الغلة المتناقصة ، والذي يقصد به أن لكل مساحة من الأرض الزراعية حدا يبلغ عنده الإنتاج الحد الأقصى ثم يأخذ الإنتاج بعد ذلك في التناقص التدريجي.

- يزداد إنتاج المواد الغذائية وفقا لمتوالية حسابية Arithmetical progression .

- هناك علاقة عكسية بين الزيادة في عدد السكان ومعدل الإنتاج في المواد الغذائية ويتم الحفاظ علي مستوي من النمو السكاني المتناسب مع موارد البقاء من خلال الضوابط الإيجابية Positive checks أي

²³ علي عبد الرزاق الجبلي، المرجع السابق، ص 56-61.

من خلال معدل الوفيات فعندما يحدث عدم توازن بين حجم السكان ووسائل المعيشة يرتفع معدل الوفيات بصفة منتظمة حتى ينخفض حجم السكان ويصل إلى معدل متناسب مع الموارد المتاحة. وبالمثل تؤدي الزيادة المؤقتة في وسائل البقاء إلى انخفاض معدلات الوفيات حتى يصل حجم السكان إلى نقطة التوازن مع الموارد وهذا ما يطلق عليه بالمعضلة المالتوسية.

(3) النظريات السكانية الحديثة.

المحاضرة رقم 03 :

لقد كان للفكر السكاني القديم الأرضية الصلبة لما نشهده اليوم من دراسات سكانية معاصرة، فقد كان هذا الفكر عبارة عن نقطة اهتمام بدراسة السكان منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا بدعوى أن هؤلاء انطلقوا كل حسب عصره والظروف التي عايشها وبوجهات نظر مختلفة في شرح كل التغيرات الديموغرافية المتعلقة بالسلوك الانجابي، والخصوبة، والتنظيم العائلي.

يذهب بعض العلماء أن الدراسات السكانية قد وصلت بالقفل إلى مرحلة العلم بعد أن جمعت الحقائق ووضعت الفروض، وحاولت أن تنظمها في صورة نظرية، بل أن بعض المشتغلين بالسكان قد توصلوا بالفعل إلى قوانين سكانية إذ ظهرت ثلاثة أنماط من النظريات هي:

- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد تفسيراً اجمالياً.
- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد مع الأخذ في الاعتبار التمايز الطبقي.
- النظريات التي قامت بتفسير العلاقة بين السكان والموارد مع الأخذ في الاعتبار الصراعات الطبقيّة الموجودة في المجتمع.

ويرى البعض الآخر من العلماء أن الدراسات السكانية في الوقت الحاضر تقتصر إلى النظرية، بينما تتميز

بوفرة النتائج الجزئية بفضل الجهود المتتابعة التي أجريت في ميدانها لجمع هذه النتائج دون الاهتمام بصياغتها في بناء منسق من المعرفة يفسر على أساسه سلوك السكان، ويرجعون هذا النقص إلى التقدم الذي أحرزته الدراسات السكانية في ميدان البحوث الأمبريقية وإلى انشغالها بتطوير مناهج متميزة لجمع البيانات وتحليلها، من ناحية، وإلى ما يتميز به موضوع الدراسة السكانية وانتمائه إلى عدد من العلوم المتداخلة من ناحية أخرى²⁴.

1.3 النظريات الاجتماعية:

تفترض هذه النظريات وجود عوامل اجتماعية يتأثر بها الإنسان تجعله يحد من نسله وذلك بإتباع وسائل ضبط النسل دون أن تغير تبعا لذلك طاقته البيولوجية وسنستعرض آراء لكل من "كارل ماركس" و "أرسين ديمون" و "كارسندرز".

✓ كارل ماركس *Karl Marx* (1818-1883)

لم يكن لكارل ماركس مؤلفا خاصا لموضوع السكان نبعت نظريته في السكان من نظرية العامة التي تري في النظام الاشتراكي العلاج الوحيد لجميع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاينها الأفراد وأنه من الممكن معالجة الآثار السلبية المفترضة للكثافة السكانية من خلال إعادة تنظيم المجتمع وخاصة من خلال سيطرة الطبقة العاملة علي وسائل الانتاج ويركز فكر ماركس علي تحليل العلاقة بين ظروف الحياة المادية وأنماط الفكر وهي العلاقة التي تقوم علي مبدأ متطور ومتغير أثناء تطور المجتمع عبر التاريخ²⁵.

²⁴ علي عبد الرزاق جليبي، (1998)، علم اجتماع السكان ط. 2 دار المعرفة الجامعية، مصر
²⁵ جراهام كنيولوتش ، (1990)، ترجمة محمد سعيد فرح تمهيد في النظرية الاجتماعية : تطورها ونماذجها الكبرى دار المعرفة الجامعية، ص120.

فيرى ماركس أن التفاعل الجدلي بين البناء الاقتصادي والبناء الفوقي المعياري للمجتمع يؤدي إلى تعدد مراحل التطور ويرجع تزايد بناء الأدوار وتراكم الملكية الخاصة إلى تزايد السكان وتزايد الحاجات الاقتصادية ، وينتج عن تزايد الملكية الخاصة ونمو الصناعة وتطورها نشأة النظام الرأسمالي والذي يؤدي إلى مرحلة الهيمنة الاقتصادية وظهور التناقضات ويؤدي تزايد المشكلات داخل النظام الرأسمالي الاقتصادي إلى حدوث تغييرات في الوعي والتي قيام طبقة البروليتاريا بالثورة وينتقل المجتمع إلى النظام الاشتراكي حيث يولد الإنسان الطبيعي من جديد²⁶.

وتتعلق آراء ماركس النظرية المتعلقة بالسكان من هذه النظرية العامة ويرفض ماركس الرأي القائل بأن فقر وشقاء الإنسان يعود إلى ميله الطبيعي لإنجاب عدد من الأطفال يزيدون على قدرته على إعالتهم كما ذهب مالتس، ولكنه يرجع حالة الفقر إلى النظام السائد في المجتمع ومدي ما يساهم به هذا النظام من إتاحة الفرص لتشغيل كل أفراد المجتمع ويرى أنه لا يوجد قانون عام للسكان ولكن لكل عصر وكل مجتمع قانون للسكان خاص به يتناسب مع الظروف الخاصة السائدة فيه ويفترض ماركس أن تزايد السكان يرتبط بمعدل التشغيل في النظام الاقتصادي ففي النظام الرأسمالي تتزايد الآلات بسرعة تفوق تزايد العمال فيحدث فائض في السكان نتيجة لمعدل التشغيل المتناقص واختصار النفقات وتراكم رأس المال ويؤدي تراكم رأس المال في صورة سلع إنتاجية إلى نقص الحاجة إلى العمال مما يجعل وجودهم في الإنتاج زائدا عن الحاجة نسبيا فيتحولون إلى فائض سكاني ويرى ماركس انه مع تطور المجتمع ووصوله إلى مرحلة الإنتاج الاشتراكي تتلاشى مشكلة زيادة السكان حيث أنه في ظل نظام الإنتاج الاشتراكي لا يوجد فائض في السكان نتيجة للتشغيل الكامل والمتوازن بين رأس المال والعمال ويرجع وجود الفقر

²⁶ جراهام كنيولتس، مرجع سابق، ص 121-122.

والبؤس باعتبارهما مرتبطان بمشكلة تزايد السكان إلى النظام الاقتصادي الذي يعجز عن تشغيل أفراد المجتمع تشغيلًا كاملاً²⁷.

✓ أرسين ديمون *Arsin Dumon*

تعرف نظريته بالنظرية الشعرية الاجتماعية، لأنه شبه الفرد في المجتمع بالزيت في شريط المصباح يميل إلى الصعود إلى مستويات أعلى من بيئته، وفي عملية الارتقاء هذه تصبح أقل قدرة على الإنسان، لأنه يبتعد عن بيئته الطبيعية، بحيث لا يكون له وقت لتكوين الأسرة، وإذا كون أسرة فإنه يفكر في تنظيمها حتى يستطيع أن يحقق طموحاته، ويرى أن المدن لها تأثير على الذين يعيشون قريباً منها أما الذين يعيشون بعيداً عنها والذين يقومون بأعمال تحط من طموحهم الشخصي فمن المحتمل أن ترتفع نسبة المواليد عندهم.

لكن بالرغم من أن نظرية "ديمون" لا تعط تفسيراً كاملاً لانخفاض نسبة المواليد فإنها لا تخلو من وجهة النظر الاجتماعية التي لتقت الانظار إلى أهمية الظروف الاجتماعية لكونها تتحكم في عملية الإنجاب بالتزايد أو الانخفاض²⁸.

✓ ألكسندر موريس وكارسوندرز *Alexandre Maurice Karsonderz*

يرى "كارسوندرز" أن الامسان يحاول دائماً أن يصل بحجمه إلى العدد الأنسب وهو أقصى عدد من السكان يمكن أن يعيش في مجتمع ما في مستوى لائق من المعيشة وذلك بعد استغلال البيئة من جميع نواحيها طبيعياً وبشرياً²⁹. بمعنى أن نمو السكان يخضع لسيطرة الإنسان على بيئته وأن عدده يتغير من وقت لآخر حسب تغير تفاعل الإنسان مع بيئته فكلما ازداد التفاعل ازداد العدد، ويرى أنه يوجد مقياس

²⁷ مصطفى خلف عبد الجواد، (2009)، علم اجتماع السكان، كلية الآداب، جامعة ميناء، مصر ص 15.

²⁸ حسن الساعاتي وعبد الحميد لطفي، (1981)، دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 76، 77.

²⁹ محمد مصطفى أحمد، (1955)، الخدمة الاجتماعية في مجال السكان والأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 45.

تقاس به الزيادة السكانية وهذا لمقياس هو متوسط الدخل الفردي فإذا زاد هذا الدخل فهذا يعني أن البلد في حاجة إلى المزيد من السكان، وللوصول إلى حجم أمثل لابد من وصول الدخل إلى رقم معين يأخذ من بعد في الهبوط تدريجيا فإن عدد السكان يكون عند حد متزايد.

إن كارسوندرز يؤكد على الحجم الأمثل لسكان لكن من الصعوبة بمكان تحديد طاقة أي إقليم بشري وخاصة في المناطق الصناعية الأكثر تركيبا والأكثر تعقيدا، زيادة على تغير المجتمعات وتغير مواردها، إضافة إلى أن هذه النظرية تتطلب حالة من السكون في جميع عناصر الإنتاج وفي الزيادة السكانية حتى يمكن حساب الحد الأمثل³⁰.

الرغم من أن آراء كارسوندرز في مجال السكان تميزت بالتركيز على موضوع السكان في حد ذاته وذلك من خلال مؤلف خاص وهو " سكان العالم " ولم يأتي اهتمامه ضمنى كجزء من دراسات ومؤلفات اجتماعية أو نظريات اجتماعية مثل ماركس وسبنسر إلا أن خلفيته الاقتصادية أثرت على طريقة تناوله موضوع السكان فكارسوندرز يناصر النظرية التي تذهب إلى أن الزيادة في السكان تحددها إلى حد كبير أفكارهم عن الأعداد المرغوب فيها من الوجهة الاقتصادية في ظل ظروف حياتهم³¹.

2.3 النظريات الطبيعية:

المفاد هذه النظريات هو أن النمو السكان هو طبيعة الإنسان نفسه وطبيعة العالم الذي يعيش فيه، وأنه إذا كان للإنسان سيطرة على هذا النمو فهي سيطرة محدودة وأصحاب هذه النظريات هم على التوالي: " مايكل سادلر " ، " توماس دوبلدي " ، " هربت سبنسر " ، " كورادوجيني " .

✓ مايكل سادلر (1780م-1835م) M.Sadler

³⁰ دريد فاطمة، (2006)، النمو الديموغرافي وأثره على التنمية الاجتماعية والاقتصادية "دراسة في التنظيم العائلي في الأسرة الجزائرية باتنة"، شعبة علم اجتماع التنمية، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة منتوري، ص45.

³¹ مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص 18.

ويذهب إلى أن التكاثر السكاني عملية بيولوجية تتحكم في نفسها بنفسها، بمعنى أنه وصل سكان قطر من الأقطار إلى درجة من الكثرة تدخلت العوامل البيولوجية لحمايتهم من التضخم الزائد وذلك عن طريق تناقص قدرة الإنسان الفيزيولوجية على الإنسان³².

✓ توماس دوبلدي *Thomas Doblady*

يرى انه في حالة تعرض النوع البشري للخطر فالطبيعة هي التي تبذل جهودا لحمايته وبقائه وذلك بزيادة القدرة على الإنجاب، وفي رأيه أن تزايد السكان يحدث عند الفقراء بينما الأغنياء فعددهم في نقصان مستمر.

لكن ما يؤخذ على كل من "سادلر" و "دوبلدي" أنهما لم يميزا بين القدرة على الإنسال وبين النمو الفعلي للسكان، ولا يمكن تطبيق أفكارهما على كل المجتمعات نظرا لاختلاف الأوضاع وظروف كل مجتمع.

✓ هربت سبنسر *Herbert Spencer (1820-1903)*

جاء اهتمام "سبنسر" بمسائل السكان طبيعيا نتيجة لاهتمامه بالتطور البيولوجي الاجتماعي للقوي الطبيعية ولقد عرض سبنسر قضايا النظرية السكانية ضمن كتابه. بعنوان "مبادئ البيولوجيا" الذي نشره عام 1901.

ويعتقد سبنسر أن الغذاء الجيد يزيد من القدرة علي التناسل ، وأن الطبيعة هي التي تتحكم في زيادة عدد السكان وليس إرادة الفرد ويرى سبنسر أن الطبيعة تضعف اهتمام الفرد بالتناسل بينما يوجه جهده إلى تخصيص مزيد من الوقت والجهد في التنمية الشخصية والعلمية والاقتصادية³³.

³² فطيمة دريد، مرجع سابق، ص45.

³³ علي عبد الرازق جلبي 1993 علم اجتماع السكان دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ص89.

فهناك تعارض بين التناسل والنضوج الذاتي حيث أنه كلما ارتقت المخلوقات وتطورت من الأشكال الدنيا للحياة ، نقصت خصوبتها فالأجسام العضوية الدنيا تتكاثر بدرجة كبيرة حتى لا تقني ، في حين أن الأشكال العليا للأجسام العضوية تستخدم جزءا كبيرا من قوتها ونشاطها الحيوي في ذاتيتها وبناء شخصيتها وبالتالي لا يتبقى إلا القليل من الجهد لبذله في مجال التوالد والإنجاب ، مما يؤدي إلى إبطاء معدلات الزيادة السكانية حيث أن التطور الاجتماعي يؤدي إلى ازدياد الاتجاه الفردي الذاتي.

ويدعم سبنسر أفكاره النظرية بملاحظاته من أن السيدات المشتغلات في المهن الفكرية عادة ما يتصفن بالتنازل الضعيف علي الرغم من انتماء بعضهن إلى طبقات عليا حيث الغذاء الصحي والرعاية الصحية ، إلا أنهم يبذلن مجهودا ذهنيا ويعجزن عن إرضاع أطفالهن ورعايتهم ومدهم بالغذاء الطبيعي واستخلص سبنسر من تلك الملاحظات أن هناك علاقة عكسية بين المجهود الذي يبذله الفرد لتأكيد ذاته وجهده في الانسال وتتبا سبنسر بأن مشكلة تزايد السكان ستحل مادام الإنسان ينشد الرقي ويبذل جهودا كبيرة لتحقيق هذا الهدف³⁴.

(4) نظرية التحول الديموغرافي:

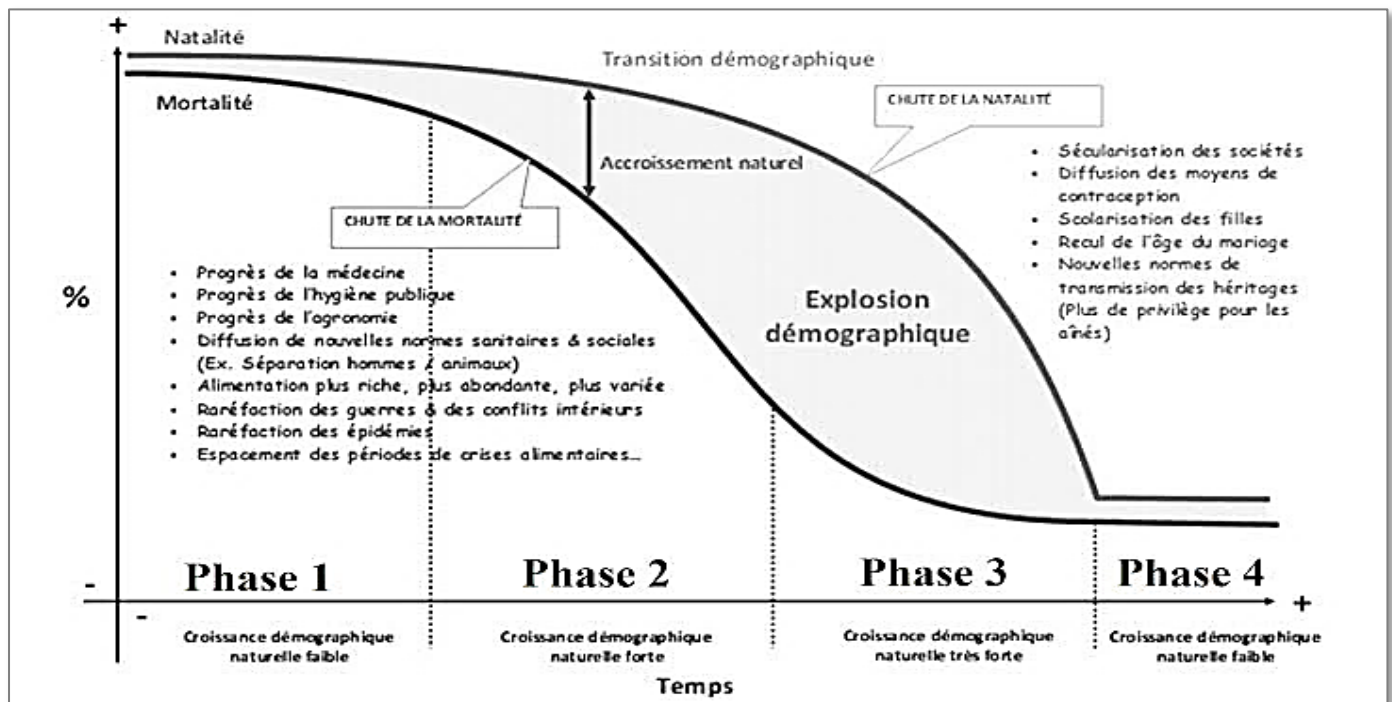
المحاضرة رقم 04 :

إن علم الاجتماع يفتقر في الوقت الحاضر إلى إطار مرجعي واحد يجمع به مختلف القضايا الاستقرائية والامبريقية عن المتغيرات السكانية والاجتماعية والتي يمكن اعتبارها نظرية ديموجرافية اجتماعية ويمكن أن يستنتج من ذلك نظرية التحول الديموجرافي Demographic Transition Theory وهي من أكثر النظريات الحديثة شيوعا واستخداما في الدراسات السكانية ، وتعطي إطارا نظريا يساعد علي فهم اتجاهات السكان والتغيرات السكانية.

³⁴ علي عبد الرازق جلبي، المرجع السابق، ص90.

ولقد ظهر هذا التصور النظري في بداية القرن العشرين ويشير إلى اثر معدلات المواليد والوفيات علي السكان وعلي التوزيع العمري ويستند التعرض الكلاسيكي للنظرية إلى تجربة الدول الأوروبية الغربية والتي مرت بثلاث مراحل تطورية اتصفت المرحلة الأولى بمعدلات خصوبة مرتفعة ومعدلات وفيات مرتفعة (خاصة وفيات الأطفال) واستمرت معدلات المواليد مرتفعة في المرحلة الثانية، بينما انخفضت معدلات الوفيات ثم تبدأ المرحلة الثالثة حيث يعود التوازن بين معدلات الخصوبة والوفيات كنتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية المركبة³⁵.

وفقاً لتغيرات معدلات المواليد والوفيات يقسم هذا النموذج تاريخ النمو السكاني إلى أربعة مراحل علي النحو التالي:



الشكل رقم 01: الشكل الكلاسيكي لنظرية التحول الديموغرافي

³⁵ Sen, K. (1994) Ageing: De bates on demographic transition and social policy zed books LTD.

✓ المرحلة الأولى :

يمكن ان يطلق على هذه المرحلة مرحلة ما قبل التطور وتتميز هذه المرحلة بارتفاع معدلات الخصوبة التي تصل إلى حدها الأقصى وارتفاع معدلات الوفيات عند جميع الفئات العمرية من السكان وبخاصة عند الأطفال الرضع.

ويعود السبب في ارتفاع معدلات الخصوبة إلى تدني الوضع الاجتماعي للمرأة وغياب الوسائل المأمونة لتنظيم الأسرة وإلى ارتفاع معدلات وفيات الأطفال حيث كان ينظر إلى زيادة أعداد المواليد كوسيلة لتعويض المفقود من الأطفال الذين كانوا يشكلون عمادا اقتصاديا للعائلة فقد كانت النتيجة الحتمية لولادة عشرة أطفال مثلا هي بقاء اثنين أو ثلاثة منهم على أكثر تقدير على قيد الحياة³⁶.

أما ارتفاع معدلات الوفاة في مختلف الفئات العمرية فيعود إلى الجهل بأسباب الأمراض والوفيات وبالتالي أساليب الوقاية والعلاج وشح الخدمات الطبية، يضاف إليها حالة الجهل والفقر التي كانوا يحيونها، كل ذلك أدى على استفحال الأمراض السارية والمعدية والتي كانت تأتي على شكل وبائي كبير وتحصد عشرات الآلاف على فترات متقاربة مثل أوبئة الجدري والطاعون والحصبة والملاريا والسل وغيرها وكنتيجة لذلك فقد كانت الزيادة الطبيعية للسكان في أي منطقة من العالم في حدها الأدنى، ولا توجد بيانات موثقة علميًا عن سكان العالم ككل قبل أكثر من ألفي عام.

✓ المرحلة الثانية :

تعتبر هذه المرحلة بداية التطور الاجتماعي والاقتصادي لسكان منطقة ما من العالم وتتميز بارتفاع المستوى المعيشي للسكان نتيجة لزيادة المعارف المختلفة ومنها معرفة أسباب الأمراض والوفيات وأساليب الوقاية والعلاج الأمر الذي يؤدي إلى الانخفاض في أعداد الوفيات وبخاصة وفيات الأطفال الرضع.

³⁶ أحمد قطيطات، (2007)، الهبة الديموغرافية في الوطن العربي، المؤتمر العربي الإحصائي الأول، 12-13 نوفمبر 2007، عمان الأردن، ص403.

إلا أن الانخفاض المستمر في الوفيات لا يقابله انخفاض مماثل في عدد المواليد نتيجة لاستمرار تدني وضع المرأة الاجتماعي والحاجة لمزيد من الأطفال لدعم اقتصاد العائلة لذلك شهدت هذه المرحلة ارتفاعاً كبيراً ومنتزاعاً في معدل النمو السكاني الطبيعي نتيجة لزيادة أعداد المواليد عن أعداد الوفيات وبشكل كبير ويحدث خلال هذه المرحلة ما يسمى بالانفجار السكاني والذي قد حدث بالفعل في العالم، قفز عدد سكان العالم من مليار واحد عام 1800 م³⁷ إلى مليارين عام 1930 م أي أنه قد تضاعف خلال 130 سنة ويصل عدد سكان العالم حالياً إلى 7.8 مليار 2019³⁸ أي بزيادة 5.8 مليار خلال (90) سنة فقط.

✓ المرحلة الثالثة:

مع ازدياد مظاهر التطور الاجتماعي والاقتصادي وارتفاع مستويات المعيشة وزيادة المعارف المتنوعة والتطور التقني حيث يستمر الانخفاض في معدلات الوفيات إلى الحد الذي تسمح به التقنيات المتوفرة ويقابل ذلك انخفاض في معدلات الخصوبة نتيجة للتحسن في وضع المرأة الاجتماعي وخروجها لميادين العمل واكتشاف الأساليب المأمونة لمنع الحمل وتكون النتيجة انخفاض معدل النمو السكاني الطبيعي، وقد يحدث أن تتخفض معدلات الخصوبة لتشابه معدلات الوفيات، عندئذ يصبح معدل النمو صفراً أو قد تقل معدلات الخصوبة عن معدلات الوفاة ويصبح معدل النمو الطبيعي سالباً. وبتطبيق تلك النظرية على دول العالم المختلفة نجد أن الدول الصناعية المتقدمة تعيش الآن المرحلة الثالثة حيث معدلات الخصوبة والوفاة والنمو الطبيعي منخفضة لا بل أن سكان بعضها قد توقف عن النمو الطبيعي والبعض الآخر أخذ يتناقص³⁹.

✓ المرحلة الرابعة:

³⁷ المرجع السابق، ص 404.

³⁸ ONU

³⁹ المرجع السابق، ص 405.

وهي المرحلة التي وصلت إليها البلاد المتقدمة اليوم وتتصف بالتوازن بين معدلات المواليد ومعدلات الوفيات وتشهد انخفاضا شديدا في النمو السكاني قد يصل أحيانا إلى صفر وهو ما يسمى ب-Zero population order ويبدأ أثر عامل الهجرة في الظهور حيث أنها تشكل المصدر الرئيسي لأي زيادة سكانية⁴⁰.

(5) التناول النظري لبعض الدراسات السكانية

المحاضرة رقم 05 :

⁴⁰ مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص21.